

The article deals with researching elements that highlights the characteristics of this unique characters. First, it studies the championship it self during the "al hilalia westery" between the individuals and collective points of view. Secondly, The article studies the lineage of Abou Zaid AL-hilaly and his beginnings. Thirdly, , the hero Abou Zaid AL-hilaly propre names and appellation. Forthly, The article studies the quantitative and qualitative measures to identify the characters of the hero. Finally, The article studies the heroic personality Characteristics of "Abou Zaid".

key words:

al hilalia westery, Abou Zaid AL-hilaly, personal hero, lineage and childhood, personal ingredients.

مقدمة:

السيرة الشعبية العربية نالت السبق والصدارة بين السير العالمية الأخرى، ذلك لأنها تمثل بشكل من الأشكال جوهر الأدب الشعبي العربي أيام المجد والتمكين والقوة، ومن هذه السير العربية تغرية بني هلال التي تعني سيرة بني هلال أيام توجههم نحو الغرب وأخبارهم وبطولاتهم في بلاد الغرب.

تغرية بني هلال أنموذج قوي للبطولة البدوية العربية الأصيلة، وشخصية أبو زيد الهلالي هي أهم شخصية من هذه التغرية وأقوى بطولة من بطولاتها؛ ذلك أنه يتمتع بخصائص نفسية وبدنية اقتصرت على شخصه وانكفئت على ذاته النبيلة والشريفة والقوية في آن واحد.

لابأس أن نشير أننا لسنا أول من يخوض غمار البحث في موضوع بطل التغرية الهلالية، فقد سبقتنا -في حدود علمنا- هذه الدراسات:

-آليات السرد بين الشفاهية والكتابية لسيد اسماعيل ضيف الله، حيث ركز ضيف الله على الفرق بين السرد الكتابي والسرد الشفاهي للسيرة الهلالية، معتمدا على رواية الشيخ فتحي سليمان ورواية مراعي القتل لفتحي إمبابي، وأورد الحديث عن البطل أبو زيد، لكن دون تفصيل مبين، ودون منهجية في تناول ملاح شخصية أبي زيد، إلا أننا في هذا البحث المتواضع سنفصل ونبين خصائص وسمات البطل أبو زيد بالتفصيل المعمق وإيراد معلومات ومعارف بطريقة منهجية.

-البنيات الحكائية في السيرة الشعبية لسعيد يقطين، يتطرق يقطين إلى عناصر بحثية تتعلق بالفاعل المركزي وهي: الميلاد، الاسم، الصفات الثابتة أو العلامات، اللون، التربية. ويتناول

يقطين دراسة عدة روايات في كتاب واحد فإنه شئت الحديث حول كل هذه الروايات، مما جعل نصيب بطل السيرة الهلالية لا يكاد يكون ظاهراً للعيان، أي أنه لم يستفرض الحديث عن الفاعل المركزي

- على حد تعبيره- في سيرة بني هلال، أما بحثنا فهو يستفيض الحديث عن بطل التغريبة الهلالية بصفة خاصة، متناولاً أغلب العناصر البحثية التي تناولها سعيد يقطين عن البطل في كتابه هذا.

-السردية العربية، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي لعبد الله ابراهيم، تناول عبد الله ابراهيم في كتابه عدة عناصر بحثية وطبقها على مجموعة من الروايات هي: سيرة بني هلال، سيرة الأميرة ذات الهمة، سيرة الملك سيف، سيرة عنتره، سيرة الظاهر بيبرس. خصص ابراهيم مساحة ثماني صفحات من كتابه ليتناول هذه العناصر البحثية ، وبتطبيق العناصر البحثية على خمس روايات، وبالتأمل في هذه الصفحات نجد أن الحديث عن بطل التغريبة في هذا الكتاب لا يتجاوز مساحة صفحة واحدة؛ لذلك نرى أن هذه المعلومات الواردة في كتاب ابراهيم عن بطل التغريبة الهلالية لا تشفي غليل من يبحث عن تفاصيل وملاح البطل أبو زيد.

سننتع في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، كي يتسنى لنا تحقيق أهداف البحث وهي: التعرف على تفاصيل وجوانب من شخصية بطل التغريبة الهلالية، بدءاً من البطولة في التغريبة الهلالية بين الأفراد والجمع، ثم أسماء البطل أبو زيد الهلالي، ثالثاً ندرس المقاييس الكمية والنوعية للتعرف على شخصية البطل، رابعاً ندرس نسب البطل أبو زيد وبدايته، وأخيراً سندرس مقومات بطولة شخصية أبو زيد .

ومن هنا تتبادر إلى الذهن تساؤلات وإشكالات حول هذه الشخصية ذائعة الصيت لعل

أهمها:

هل البطولة في التغريبة الهلالية مفردة؟ أي مقتصرة على شخصية واحدة، أم هي جمعية أي يشترك في البطولة عدة شخصيات؟ ما هو نسب البطل أبو زيد وكيف كانت بداياته؟ هل كان للبطل أبو زيد الهلالي اسم واحد معروف؟ أم له أسماء متعددة تعدد مواهبه وخصائصه الشخصية؟ ماهي المقاييس الكمية والنوعية للتعرف على شخصية البطل؟ كيف أن أبو زيد شخصية ذات مقومات بطولية؟

1. البطولة بين الأفراد والجمع في التغريبة الهلالية:

شخصية البطل تمثل أبرز شخصية من الشخصيات الرئيسية، إلا أن مفهوم البطل يشكل صعوبة حقيقية في تحديده تتصل بمكانته في السرد، فمن هو الفاعل البطل في السرد؟

وكيف السبيل إلى تمييزه؟¹ كما نجد أن السرد في الروايات العربية أو الغربية يركز على شخصية بعينها، وفي حالات أخرى يركز السرد على شخصيتين متكافئتين أو أكثر، حيث تتقابل بالتكافؤ أفعال هذه الشخصيات وتتساوى، ومن هنا يصعب تحديد شخصية البطل الحقيقية. وفي التغريبة نلمس إشكالية حقيقة في تحديد شخصيات البطولة بين الأفراد والجمع البطولي، فاختلف الباحثون في تحديد أبطالها وانقسموا إلى قسمين:

-القسم الأول يرى أن هذه البطولة تشارك فيها شخصيات عدة وليس واحدة فقط، وهذا الرأي تعاضده الباحثة وليدة بن طالب في مذكرتها الموسومة ب:سيرة بني هلال-دراسة سردية، ويعزى هذا التوجه البطولة إلى كل من:

(أبو زيد الهلالي، حسن بن سرحان، ذياب بن غانم، الجازية)².

-القسم الثاني يرى أن التغريبة لها بطل واحد هو أبو زيد الهلالي، أما بالنسبة لي كباحث في التغريبة هذا الرأي هو الذي أراه راجحاً؛ فأبو زيد يمثل شخصية البطل، وكل من حسن وذياب والجازية يقعون ضمن الشخصيات الرئيسة في التغريبة الهلالية.

2.نسب البطل أبو زيد وبداياته:

قبل ميلاد أبو زيد الهلالي بأيام قلائل رأت والدته الأميرة الخضرا الشريفة رؤيا، مفادها أنها بينما كانت تتجول في أحد البساتين رأت غرابا أسود يطرد الغرابان ويقهرها ويفتك بها، فقالت: إلهي أسألك أن ترزقني ولدا ذكرا ولو كان لونه أسود لعله ينشأ يغلب الفرسان ويقهرهم، مثل هذا الغراب، وأنشدت قائلة:

يَا رَبُّ يَا رَحْمَانُ يَا سَامِعَ الدُّعَاءِ	تَرَزَّقْنِي وَوَلَدٌ ذَكَرِيَا جَبَّار
يَكْبُرُ عَلَى الْفُرْسَانِ الْبَوَادِي جَمِيعُهَا	وَيَعْلُو ذِكْرُهُ فِي سَائِرِ الْأَقْطَارِ
وَيَنْسَرُّ قَلْبِي وَلِيِّي وَخَاطِرِي	لِأَنِّي شَرِيفَةٌ مِنْ بِيُوتِ كِبَارٍ ³

كانت الأميرة الخضرا حاملا بأبي زيد، ولعل هذا النسب العظيم الباعث لبنية شخصية البطل في أي سيرة شعبية عربية أن يدل على عظمة شخصية البطل، ومدى أهميتها في السرد الشعبي، وهذا سبق والاستهلال له أمثلته المختلفة في الحياة: فمجيء العاصفة يسبقه هبوب الرياح، وظهور البدر تسبقه طلعة الهلال، وطلوع الشمس تسبقه خيوط الفجر، كما أن سقوط المطر يسبقه تشكل الغيوم، فكثيرة هي الظواهر الطبيعية التي تستهل بظواهر طبيعية أخرى ولا مجال لتعداد هذه الظواهر كلها في هذا الصدد.

على الرغم من نسب البطل الشريف إلا أن سمرة بشرته وسوادها أدت بوالده الأمير رزق أن ينكر أبوته للبطل أبو زيد، وطلق والدته الأميرة الخضرا الشريفة، فقررت الأميرة الخضرا ترك ديار بني هلال، وتوجهت إلى قبيلة أخرى تسمى بني الزحلان، ونشأ ثم البطل

وترعرع، وعاش صباه منكبا على تعلم مختلف الفنون والعلوم والمهارات، فكان يدرس العلوم في الكُتاب، ويتدرب على الفروسية والمبارزة والفنون الحربية في هذه القبيلة، وكل هذا بإيعاز من والدته التي صممت أن تجعل منه شخصية فذة تتقن مهارات وفنون مختلفة.

عاش أبو زيد بطل التغرية الهلالية في صباه (بعيدا عن أبيه وأهله الحقيقيين، مع أن أباه عاش في بلاد السرو (الأردن وفلسطين)، بينما نشأ البطل وترعرع في أرض بني الزحلان)⁴، فعانى من الغربة عن أهل، وهو ليس الشخصية الوحيدة في التاريخ التي تعيش متغربة عن أهلها، فإذا تدارسنا سيرة نبي الله يوسف -عليه السلام- نجده قد عاش متغربا عن أهله في بيت عزيز مصر، بعيدا عن أبيه نبي الله يعقوب عليه السلام وإخوته وعشيرته، وهذه الأمثلة من الشخصيات المتغربة كثيرة جدا في الروايات الشعبية العربية وحتى العالمية.

إشكالية ميلاد البطل الشعبي في السير العربية والعالمية تناولتها نبيلة ابراهيم، وخصصت لها فصلا كاملا، وفسرتها تفسيراً نفسياً في كتابها أشكال التعبير في الأدب الشعبي، حيث ترى أن إبعاد الطفل البطل "لازمة من لوازم الميلاد المعجز، وهو رمز آخر للصراع الذي يخوضه الفرد في سبيل تحقيق الذات المتكاملة، وهذا لا يتم إلا عن طريق اتحاد الشعور مع اللاشعور، وهذا الاتحاد يتطلب بدوره تضحيات يشير إليها نفي الطفل، واستبعاده بوصف هذا خطوة أولى في سبيل تحقيق الذات الكلية، فالطفل يبعد عن أبيه وأمه، وليس هناك شيء يرحب بولادته على الرغم من أنه يشير المستقبل"⁵ وفي التغرية خاض البطل في القصص الصراع في سبيل تحقيق الذات المتكاملة.

كما عرفت نبيلة ابراهيم في ذات الكتاب البطل الشعبي على أنه "البطل هو ذلك الذي يولد غريبا وكأن الحياة كلها ترفضه، ولكنه سرعان ما يشق طريقه، ويتغلب على الصعوبات، ويحقق في النهاية هدفا يسهم في صنع الصورة المكتملة للحياة"⁶ رفض الأمير رزق هذا الوليد البطل، وبهذا الرفض الأبوي فقد رفضته في حقيقة الأمر كل قبيلة بني هلال، ولكن الوليد البطل تغلب على الصعوبات، وأتقن العلوم والمهارات، وفرض نفسه فرضا على أفراد قبيلته، فيما بعد أن اشتد عوده وبلغ أشده.

3. أسماء البطل أبو زيد الهلالي:

تنوعت أسماء الشخصيات في التغرية الهلالية، فلكل شخصية محورية من التغرية اسم يفصلها ويميزها عن باقي الشخص، وكما قيل قديما "لكل من اسمه نصيب"، فالمتبع لمجريات أحداث التغرية يلاحظ أن الارتباط جد وثيق بين كل اسم هلالي ودوره في التغرية الهلالية.

أبو زيد ليس بطل تغرية بني هلال فحسب، وإنما هو في حقيقة الأمر بطل السيرة الهلالية كلها، وهذه البطولة الفذة والشخصية القوية دفعت مجرى الأحداث إلى كنيته بعدة ألقاب وأسماء مختلفة، يدل كل واحد منها على صفة من صفات هذا البطل الهمام، أو على خصلة من خصاله وشيمه.

لعل أهم الأسماء والنوعت التي تعزى إلى شخصية البطل أبو زيد الهلالي هي:

أبو زيد الهلالي، بركات، مسعود بن عمار، سلامة. هذه أربع أسماء رئيسة تنعت بها شخصية البطل الهلالي، فضلا عن أسماء أخرى ثانوية لم يطل ذكرها في التغرية الهلالية إلا لماما، أي أنها ذُكرت فقط في قصة أو قصتين من تغرية بني هلال، ولا يتسع المجال لذكرها كلها في هذا الصدد.

4. المقاييس الكمية والنوعية للتعرف على شخصية البطل:

يمكن التعرف على شخصية البطل في أي سيرة شعبية، أو رواية قديمة أو حديثة عبر معيارين أحدهما كمي، وثانيهما نوعي كالآتي:

1.4 المقاييس الكمي:

لتحديد البطل في الرواية باستعمال المقياس الكمي نتبع (توفر و طغيان الإشارات والعلامات، والمعلومات المميزة له، على حساب باقي الشخصيات في الرواية)⁷، حيث نجد في تغرية بني هلال أن التركيز في السرد يقع على شخصية أبو زيد الهلالي؛ ففي الجزئين الرابع عشر والتاسع عشر يصف الراوي أبا زيد بالكيد والحيلة والدهاء، مما دفع الراوي إلى تمجيده وتركيز السرد عليه، كما أن شخصية أبو زيد في هذا السرد الروائي تتميز ب:

حضور مستمر ومهيمن، تشخيص شامل ودقيق، و وفرة المعلومات، وإذا كانت الشخصيات الثلاث الأخرى تنطبق عليها أيضا هذه الخصائص الثلاث المميزة للبطولة، إلا أنها ناقصة نسبيا، وفي مرتبة أقل مقارنة مع الدرجة التي تتميز بها خصائص شخصية أبو زيد.

2.4 المقاييس النوعي:

يرتبط المقياس النوعي في تحديد شخصية البطل (بالكيفية التي شُيدت بها هذه الشخصية، وطريقة تقديمها في السرد الروائي)⁸، وفي دراسة هذا المقياس نتطرق إلى:

1. الأفراد:

على الرغم من التشارك بين الشخصيات في الخصائص والمميزات، إلا أن البطل ينفرد وينماز بخصائص فارقة تسموا به عن مستوى باقي الشخصيات، فأبو زيد شخصية متعددة القيم، وبهذا التعدد القيمي أصبح زائدا عن الشخصيات الأخرى وبأنا عليها، ومن قيمه وشيمه اللطف، الرحمة، النخوة، التضحية في سبيل الحق أو القبيلة، البسالة، الكرم والوفاء.

وحقيقة قيم أبو زيد أنها) تشكل جزءا مهما من آراء أبي زيد، ومبادئه وأفكاره، ومواقفه إزاء القبيلة والحياة والموت والحرب، حيث تكتسب هذه الشخصية مكانتها الاجتماعية من هذه القيم المسخرة للدفاع عن الضعفاء والمقهورين، ومحو الفوارق والاختلافات بين أفراد القبيلة، وتوحيد صفهم وجهدهم، وبذلك ترفع شخصية أبو زيد من شأن مهمتها النبيلة، فوق وظيفتها العسكرية الأصلية بمنحها دلالة روحية⁹ ولهذا جاء دور أبو زيد في القبيلة دورا مستعصيا وغير قابل للمنافسة، مما جعله متفوقا على أتباعه ومنافسيه، وأعتقد أنا أن هذا التفوق راجع إلى التربية الحسنة والفائقة التي أولتها له أمه الخضرا في صغره سابقا، وهي تتابع وتحرص على تعليمه جميع العلوم والفنون، وأساليب القتال، والمبارزة والرمي والسباحة.

وأبو زيد زائد بالقيم عن فرسان القبيلة، بالإضافة إلى كونه ملقبا باسم سلامة، حيث يحتل اسم سلامة الموقع الثاني بعد لقب أبي زيد، وفي التغريبة يدل هذا الاسم على شخص يحب السلم ويؤدي دور الوساطة بين المتخاصمين في القبيلة، من أجل تسوية الخلاف الحاصل بينهم، كما يدل لفظ سلامة على حالة إنسان ينبذ العنف، ويحب الصلح والاتفاق بين أعضاء عائلة واحدة، كما يضطلع هذا الشخص بالوساطة لإصلاح ذات البين، بصفة تلقائية ومتكررة¹⁰ ودور الوساطة وارد كثيرا في التغريبة، على غرار توسط سلامة بين الأطراف المتصارعة على السلطة وتقسيم الملك.

في قصة الترمملك، (أبو زيد يظهر عالما في علم الفلك والنجوم، ويدبر حيلة استراتيجية عملت على انتصار بني هلال، كما أن أبو زيد يتقن علم تفسير المنام بتفسيره لمنام حسن بن سرحان السابق للأحداث، بواسطة الضرب على الرمل، ويحارب ويقتل كلا من اسكندر، وسعد الفلك وعبد الفلك)¹¹.

في قصة أسرا الأمير دياب في قبرص، نجد (أبو زيد يمكر ويكيد، ويقراً في الرمال ويستولي على ديوان الهراس، ويحتال ويدهش السامعين بعلمه، وأخيرا ينقذ دياب من الموت، ويستولي على قبرص)¹².

موقع البطل في نسق السرد:

يتوغل قارئ التغريبة الهلالية ويغوص في مجرى أحداثها، بين حلوها ومرها ويلتمس كل ما يعترى أفراد قبيلة بني هلال من حكايات وقصص وأخبار، قد تكون سارة وقد تكون أليمة، وعلى الرغم من تنوع الشخصيات، وتعددتها في التغريبة الهلالية علاوة على كثرتها إلا أن الراوي يعزى للبطل وظائف ومهام محصورة على شخصه، لا تسند إلى باقي الشخصوس، حيث تكون هذه الوظائف مستحسنة ومرغوب فيها داخل مجتمع القبيلة.

المتمعن في قصص التغريبة يلاحظ أن أبا زيد له وظائف متعددة، بعضها يتشارك في أدائها مع أفراد هلاليين أو غير هلاليين، وبعضها الآخر منحصر ومنكفئ على شخصه فقط، فأبو زيد هو قائد الجيش في المعارك، وهو المستكشف والمتطلع على أنحاء المعمورة، بحثا عن الكلاً والمؤونة والأراضي الخصبة، وله الرأي والمشورة في تسيير شؤون القبيلة، كما له مهمة الضرب على الرمل للمتطلع على مستقبل القبيلة، وتجنب المهالك والمطبات، بالإضافة إلى كونه شاعرا رقيق الإحساس.

في قصة مُغامس مع شاة الريم مثلا، نجد (أبو زيد رئيسا لبعثة الاستكشاف، وشاعرا يمدح جميع الملوك في طريقهم، ومدافع عن الأمير مغامس، فضلا عن تطلعه واستكشافه البلدان التي يمرون عليها في الطريق)¹³.

في قصة الديسي بن مزيد، نجد (أبو زيد يحرض بني هلال على الترحال نحو تونس، ثم يتنكر على شكل درويش يتقن جميع اللغات، وأخيرا يتكلف بقتل الديسي. وفي قصة الملك الغضبان أبو زيد يشارك في القتال، و يخطط تخطيطا استراتيجيا للهجوم على جيوش الأعداء من الجهات الأربع)¹⁴.

أشكال ظهوره وحضوره:

شخصيات التغريبة الهلالية لا تتساوى في شكل ظهورها وحضورها السردي، فمن هذه الشخصيات ما هو طارئ على التغريبة، أي ذكر مرة أو مرتين، ومنها ما هو أصيل في الحضور والظهور، أي ذكر عدة مرات وشارك في كثير من قصص التغريبة الهلالية، وعلى الرغم من كون حضور هذه الشخصيات محقق ومرئي في التغريبة الهلالية إلا أن السارد يقدم شخصية البطل أبو زيد بالتركيز عليه وجعله باثنا في الظهور، بشكل يرسخه في ذاكرة القارئ، ففي التغريبة لا نكاد نجد قصة من قصصها إلا وقد استوفى أبو زيد فيها حقه من الذكر والظهور.

وظهور البطل أبو زيد وحضوره في التغريبة بشكل مستمر ومنفرد، ومميز عن باقي الشخصيات الأخرى المحورية منها والثانوية، التي ظهورها يكون برفقة شخص آخرين؛ لارتباط بعضهم ببعض، وكون أهميتها لا تظهر إلا بمؤازرة الشخصيات الأخرى، وهذا على عكس شخصية البطل ذات الأهمية المنبعثة من ذاته، التي لا تحتاج إلى مساعدة خارجية لإثبات دورها وتحقيق ذاتها، ومن ثم فرض نفسها وأفكارها وقناعاتها، وتصوراتها الحياتية في هذا السرد الروائي.

كما أن أبو زيد بتحقيقه للبطولة في التغريبة فإن حضوره دائما مستقل، ويشارك في دوران عجلة الأحداث، وينسج قصصه بذاته وبشخصيته البطولية، على عكس الشخصيات المحورية والثانوية التي تحضر في القصص متعلقة ومرتبطة بشخصيات أخرى، كما أن

مشاركاتها في نسيج قصص التغرية دائما بسيط وغير دائم، فإذا درسنا أي قصة من قصص التغرية الست والعشرين نجد البطل غالبا ما يكون حاضرا، في حين أن الشخصيات الأخرى إذا حضر البعض منها غاب البعض الآخر.

التحديد القبلي:

دأب الرواة والقاصون العرب القدامى، والمحدثون على خاصية مشتركة بينهم في السرد القصصي، تنص على أنه في السير والقصص (يحدد النوع الأدبي البطل بشكل قبلي، من خلال ميثاق مشترك بين المؤلف والقارئ)¹⁵، وفي التغرية بمجرد قراءة القصص الثلاث الأولى ويتأمل دور أبو زيد فيها الذي هو:

-القصة الأولى: قصة مجاعة بلاد نجد العدية وذهاب الريادة إلى بلاد الغرب:

(يظهر أبو زيد كصاحب وفي وماهر للأمير حسن، ويعزى إليه مهمة الذهاب إلى الغرب لاستكشاف أرضه وكنهه)¹⁶.

-القصة الثانية: قصة مسير الرواد الأربعة حتى تونس الخضراء:

نجد (أبو زيد رئيسا لوفد المستكشفين، ويدافع عن الأمير مغامس بقتل سعيد الذي كان يعذب مغامس، ويتقمص دور الشاعر المفلق الذي يمدح جميع الملوك والمرء في طريق الذهاب والرجوع من الغرب)¹⁷.

-القصة الثالثة: قصة الرواد الأربعة في تونس الخضراء، سجنهم وفديتهم:

نجد (أبو زيد يطلب المساعدة من بنت الخليفة الزناتي سعدة، ويحارب ضد العلام وأبطاله، إلى أن يحصل على مساعدة من العلام ذاته، ثم يصف حالة قبيلته المضنية للماضي ابن مقرب)¹⁸.

انطلاقا من هذه القصص الثلاث الأولى، وبتطبيق شروط ومعايير المقياسين الكمي (وفرة المعلومات، حضور مستمر ومهيمن، تشخيص شامل ودقيق) والمقياس النوعي (الإفراد، موقع البطل في نسق السرد، أشكال ظهوره وحضوره، التحديد القبلي) فإنه لا يبقى مجال شك للقارئ، ولا صعوبة في تحديد بطولية هذه السيرة وعزوها إلى شخصية أبو زيد الهلالي.

5. أبو زيد شخصية ذات مقومات بطولية:

1.5 ما دام أن العقلية العربية الشعبية قد أعطت لشخصية معينة أحقية مرتبة البطولة، فهذا يحيل إلى أن هذه الشخصية قد حققت البطولة على المستويين الجماعي والفردى. البطل فيه ميزة حب الخير والسعي الدائم لقضاء مصالح الأشخاص المرتبطين به، عن طريق الصحبة أو عن طريق الدم أي أبناء العمومة، ولدى توماشفسكي رأي في ذلك، فالبطل إنما ينشأ " انطلاقا من قاعدة أخلاقية... فالشخصية التي لها صبغة عاطفية قوية هي

التي تسمى بطلاً¹⁹. وفي السير العربية أهم خصيصة ينماز بها البطل هي الشجاعة، والشجاعة تتطلب الفروسية التي ليست منحصرة على أن يكون للفارس فرسا أو جوادا، ويتقن مهارات الكر والفر والضرب بالنصال، وإنما الفروسية هي زيادة على ذلك القدرة على التضحية بالنفس من أجل المصلحة الجماعية، والاستماتة في الدفاع عن العرض، والدين والشرف والحي.

قصص التغريبة الهلالية تزخر ببطولات أبو زيد الهلالي، فعلى سبيل المثال لا الحصر:

- قصة حرب بني هلال مع الأعاجم وسبي المارية:

(خاطر أبو زيد الهلالي بحياته حين سارع بمفرده إلى التسلل إلى بلاد الأعاجم لإنقاذ المارية ابنة القاضي بدير بن فايد من السبي، وكان ذلك بعد مغامرة ومجازفة من البطل أبو زيد)²⁰.

- قصة أسر دياب:

(لم يهن على أبي زيد ترك صديقه المفضل الأمير دياب بن غانم أسيرا في جزيرة قبرص، تحت وطأة حاكم يدعى الهراس، ليتجشم البطل أبو زيد وعشاء السفر، وعقد العزم على تحرير صديقه. تحقق كل ذلك بالإضافة إلى تحصيل كنوز بلاد الهراس)²¹.

- قصة أبو بشار العطار:

(سجن الساحر أبو بشار العطار كلا من الأمير دياب بن غانم، وأخيه زيدان والقاضي بدير بن فايد، اغتاط أبو زيد من هذا الأسر الجماعي فتحدى العواقب على الرغم من أذى هذا الساحر الكائد الذي مسّ عقل وحياتة أبو زيد، وكاد أن يعدمه العقل والحياتة. إلى أن حرر أبو زيد الأمراء الثلاثة)²².

عرّف رانيليا البطل الشعبي على أنه "ما لا مثيل له في خصائص البطل الشعبي حسن بلائه في المبارزة، وحتى إذا حارب في صفوف الجيش، فهو يحارب الأعداء جميعا، واحدا واحدا في آن واحد، ومن الخصائص اللازمة للبطل كذلك أنه يكسب المعركة على الدوام، فهو البطل الذي لا يقهر، على الأقل حتى نهايته، حتى إذا حانت نهاية حياته فإنه يتبع كذلك الأنموذج الشعبي"²³، كل هذه الخصائص اللازمة متوفرة في شخص البطل أبو زيد، فهو البطل الذي لا يقهر، والمعروف بحسن بلائه في المبارزة.

2.5 من بين أفراد قبيلة بني هلال نجد أنا أبا زيد أكبر شخصية متعددة المواهب، وكثيرة القدرات، ومنتقنا للفنون والعلوم، (فهو يستطيع التحدث بأي لغة من لغات القبائل الجوار أو البعاد، عربا كانوا أم أعاجم، مسلمين أم مشركين، وهو القادر على التنكر بأي زي من الأزياء، والظهور للعيان بأي صورة من صور البشرية، وهو القادر على مداولة أي وظيفة، أو مهنة مهما كانت شروطها ومتطلباتها)²⁴ معروفة ومتيسرة كانت، أم غامضة وصعبة، وهو يستطيع مجابهة

أي خصم أو منافس مهما عظمت قوته البدنية أو الفكرية، ومهما أتقن أساليب القتال، المعروفة أو المنكرة، ومهما كان علمه بالتدجين والسحر وعلومهما.

3.5 تغريبة بني هلال (فُصِّلت فيها سيرة البطل أبو زيد، وأُسرِدَت حياته من ميلاده حتى وفاته سردا مفصلا، يتبع كل تفاصيل ومقومات شخصيته، وأسندت له مهام الرسالة الهلالية التي تقوم عليها هجرة بني هلال إلى بلاد الغرب، كما يمكن لدارس تغريبة بني هلال إجمال مهام أبو زيد في ثلاثة محاور كبرى:

المحور الأول ريادي، والمحور الثاني استدرائي أو رجعي لإخطار بني هلال بوجوب إنقاذ الأمراء الثلاثة أولاد السلطان حسن بن سرحان، الذين سجنهم الزناتي خليفة وهم: مرعي ويعي ويونس، أما المحور الثالث فهو تنفيذي بقيادة أبو زيد قبيلة بني هلال إلى أرض الغرب، وبلاد تونس الخضراء)²⁵.

4.5 الراوي في تغريبة بني هلال (يأبى الجمع بين حضور أبو زيد بتواجده بين الهلاليين وانهمزام الهلاليين)²⁶، فالهلاليون ما دام بينهم أبو زيد فهم دائما منتصرون في معاركهم وحروبهم مع القبائل المجاورة أو البعيدة، لأجل البقاء على قيد الحياة والاستمرار في العيش، إلا أنه حينما يغيب البطل في سفرية من السفريات، أو يغيب بسبب مرض من الأمراض، تلحق ببني هلال هزائم وفواجع مروعة، ويفقدون عددا كبيرا أو صغيرا من فرسانهم، فحينما غاب أبو زيد عن الهلاليين لاقوا المصائب في القصص التالية على سبيل المثال لا الحصر:

-قصة ديوان الزناتي خليفة:

(حينما كان أبو زيد طرح الفراش بسبب لدغة أفعى سامة، قهر الزناتي خليفة فرسان بني هلال وغلهم بقتل عدد منهم هم: القاضي بدير بن فايد، وأخوه الأمير مفضل، و الخفاجي عامر)²⁷.

-قصة ديوان الزناتي خليفة:

(في غياب الأمير أبو زيد؛ حيث كان مع قوم بني الزحلان يتصدون لجيش ملوك الشقور السبع في مكان بعيد عن الهلاليين، أهان الزناتي خليفة الهلاليين، وفتك بمشاعرهم وأحاسيسهم، حينما علق رؤوس تسعين أميرا من خيرة أبناء الهلاليين، منهم بدر بن غانم، والأميران عقل بن بدرونصر بن بدر، والأمير شيخ الشباب زيدان أخو دياب بن غانم)²⁸.

5.5 الشخصية السردية في التغريبة الهلالية التي تتمتع بالمرتبة الأولى في أداء الوظائف والمهام الرئيسة الكبرى، والتي تؤدي إلى ديناميكية وسيرورة الأحداث إلى نهاية المطاف هي شخصية البطل أبو زيد، الذي له أولوية فك العقد الصعبة، وأداء المهام المستعصية في كل قصة من قصص التغريبة، ذلك أنه (أوكلت له مهمة القضاء على أشد الفرسان وأقواهم،

وأكثرهم خطرا وشرا على مصالح قبيلة بني هلال، وتهديد بقائها، على الرغم من أن عدد قتلى الأمير دياب في سائر قصص التغريبة أكبر بكثير من عدد قتلى الأمير أبو زيد²⁹، إلا أن الذين أعدمهم الحياة أبو زيد كانوا أخطر وأشد بأسا من الذين أعدمهم الحياة الأمير دياب، فالعبرة ليست بالكم بل بالكيف.

خاتمة:

بعد أن درسنا ميزة البطولة في التغريبة الهلالية بين الأفراد والجمع، أي بطل واحد أو مجموعة أبطال في المبحث الأول، وفي المبحث الثاني تعرفنا على نسب البطل أبو زيد وبدايات حياته، ثم تعرفنا على ألقاب وأسماء هذا البطل الهمام، في المبحث الرابع تطرقنا إلى كيفية استعمال المقاييس الكمية والنوعية للتعرف على شخصية البطل، ثم أثبتنا المقومات البطولية لشخصية أبي زيد.

تبعنا في هذا البحث المتواضع ملاح شخصية بطل التغريبة الهلالية، وتمكنا من تكوين صورة عامة عن هذه الشخصية، هذه الصورة تمس الجوانب الواقعية المذكورة في التاريخ العربي، وتمس أيضا في الوقت ذاته الجوانب الأدبية والفنية التي رسمها الخيال العربي، والذاكرة الجمعية الشعبية، فضلا عن تلك الصورة التي رسمها العربي للأعجي، والمسلم للمشرك، لتظهر لنا جليا سمات العربية التاريخية.

حددنا في المبحث الأول ميزة البطولة في التغريبة الهلالية، وحصرتها على شخص أبي زيد. في المبحث الثاني أثبتنا أن نسب البطل أبو زيد أصيل، وشريف من الأشراف، وكيف عانى من الغربة في بدايات حياته. ثم أثبتنا أن هذا البطل الهمام يتمتع بألقاب وأسماء عديدة، كمسعود بن عمار، وبركات و سلامة، وكل لقب أو اسم يعكس صفة من صفات هذا البطل، وخاصة ملازمة لأفعاله أو أقواله. في المبحث الرابع تعرفنا على شخصية البطل أبو زيد، وميزناها على باقي الشخصيات الأخرى، باستعمال طريقة علمية ممنهجة، وهي طريقة المقاييس الكمية والنوعية، وأخيرا أمكننا الاقتناع والتيقن من بطولة أبو زيد، وهذا يتأتى من إثبات المقومات البطولية لشخصية أبي زيد.

أخيرا، إن هذه الورقات القليلة لا تكفي لأن تصف شخصية بطولية لفترة عربية إسلامية، ولقوم كان لهم الفضل في تكريس لغة الضاد في المغرب العربي الكبير، ولولاهم لكننا ننتمي إلى العروبة بالاسم فقط، لا بالقول والفعل، لذا يجب فتح المجال للباحثين والناقدين مثل طلبة الدكتوراه، لأن يخوضوا غمار هذه الأبحاث المتعلقة بشخصية مثل شخصية هذا البطل، وأنوه إلى أصحاب الإعلام المرئي والمسموع بنشر أسطرته وتمثيلات، ومسرحيات وأفلام،

تعرف بهذه الشخصية؛ لأن الفرد العربي أو المسلم بصفة عامة في أمس الحاجة لنفض الغبار عن مثل هذه البطولات العربية .

الهوامش: 30

¹ ينظر: رولان بارت، طرائق تحليل السرد الأدبي، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، الطبعة 1، 1992، ص 25.

² ينظر: وليدة بن طالب، سيرة بني هلال: دراسة سردية، 2010، ص 31-32.

³ روزلين ليلي قريش، تغريبة بني هلال، دار موفم للنشر، ص 37-38.

⁴ ينظر: أمينة فزاري، سيميائية الشخصية في تغريبة بني هلال، دار الكتاب الحديث، 2012، ص 134-135.

⁵ نبيلة ابراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط 3 مزيدة ومنقحة، ص 168.

⁶ المرجع نفسه، ص 157.

⁷ ينظر: محمد بوعزة: تحليل النص السردى- تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى، 2010م، ص 49.

⁸ ينظر: المرجع نفسه، ص 50.

⁹ ينظر: عبد الحميد بوسماحة، رحلة بني هلال إلى الغرب وخصائصها التاريخية، الاجتماعية والاقتصادية، دار السبيل، 2008، ص 167-168.

¹⁰ ينظر: المرجع نفسه، ص 170.

¹¹ ينظر: روزلين ليلي قريش، تغريبة بني هلال، ص 67-76.

¹² ينظر: المرجع نفسه، ص 91-98.

¹³ ينظر: المرجع نفسه، ص 9-20.

¹⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص 29-42.

¹⁵ ينظر: محمد بوعزة: تحليل النص السردى- تقنيات ومفاهيم، ص 55.

¹⁶ ينظر: روزلين ليلي قريش، تغريبة بني هلال، ص 1-08.

¹⁷ ينظر: المرجع نفسه، ص 29-42.

¹⁸ ينظر: روزلين ليلي قريش، تغريبة بني هلال، ص 21-28.

¹⁹ Todorov, dictionnaire en cyclopedique des sciences du language, p57- 60.

²⁰ ينظر: روزلين ليلي قريش، تغريبة بني هلال، ص 43-54.

²¹ ينظر: المرجع نفسه، ص 91-98.

²² ينظر: المرجع نفسه، ص 99-112.

²³ رانيليا، الماضي المشترك بين العرب والغرب، أصول الآداب الشعبية الغربية، ترجمة: نبيلة ابراهيم، مطابع

الرسالة، سلسلة عالم المعرفة، عدد 241، 1419هـ، الكويت، ص 235.

²⁴ ينظر: أمينة فزاري، سيميائية الشخصية في تغريبة بني هلال، ص 130.

- ²⁵ ينظر: أمينة فزاري، سيميائية الشخصية في تغريبة بني هلال، ص130.
- ²⁶ ينظر: المرجع نفسه، ص131.
- ²⁷ ينظر: روزلين ليلي قريش، تغريبة بني هلال، ص 177-195.
- ²⁸ ينظر: المرجع نفسه.
- ²⁹ ينظر: أمينة فزاري، سيميائية الشخصية في تغريبة بني هلال، ص127.
- المصادر و المراجع المستخدمة:** أمينة فزاري، سيميائية الشخصية في تغريبة بني هلال، دار الكتاب الحديث، 2012.
- . رانيليا، الماضي المشترك بين العرب والغرب، أصول الآداب الشعبية الغربية، ترجمة: نبيلة ابراهيم، مطابع الرسالة، روزلين ليلي قريش، تغريبة بني هلال، دار موفم للنشر.
- . رولان بارت، طرائق تحليل السرد الأدبي، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، الطبعة1، 1992.
- . عبد الحميد بوسماحة، رحلة بني هلال إلى الغرب وخصائصها التاريخية، الاجتماعية والاقتصادية، دار السبيل، 2008.
- سلسلة عالم المعرفة، عدد 241، 1419هـ، الكويت. .
- . محمد بوعزة: تحليل النص السردى- تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى، 2010م.
- . نبيلة ابراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار غريب للطباعة والنشر و التوزيع، القاهرة مصر، ط3 مزيدة و منقحة.
- وليدة بن طالب، سيرة بني هلال: دراسة سردية، 2010.
- . Todorov, dictionnaire en cyclopedique des sciences du langage.